الصحيح من الفراسة

تمهيد

الفراسة او الفزيوغنوميا مثل السحر والتنجيم من الموضوعات التي يرغب الناس فيها وتشغلهم سخائفها عن الجواهر كما قلنا في جزء سابق . بل هي والتنجيم اخوان وقد استنبط التنجيم مساعداً لها وعاش بهما قليلون من المحتالين على نفقة كثيرين من المجانين كما قال الاستاذ منتغزا الايطالي في كتاب الفهُ حديثاً في الفراسة طبع اولاً سنة ١٨٩٠ . ويطلق على الفراسة اسم العلم توسعاً وهي في الحقيقة صناعة لم تصر علماً حتى الآن اي ان معلوماتها التي اثبتها البحث والتمحيص قليلة ولم تبوَّب حتى الآن ولا رُدَّت الى قواعد كلية . هذا ما يقولهُ فيها العلماء المحققون قالت انسكلوبيديا تشمبرس المطبوعة سنة ١٨٩١ " الفراسة صناعة الاستدلال على اخلاق الانسان من هيئتهِ الخارجية وهي مبنية على اعتقاد قديم مفادهُ ان بين هيئة الوجه وملامحهِ وبين اخلاق الانسان واحوال عقلهِ ارتباطاً شديداً . ويعلم كل احد انهُ يستنتج نتائج من هذا القبيل يثق بها كثيراً او قليلاً في معاملاتهِ وقد حاول كثيرون وضع قواعد لاستنتاج هذه النتائج حتى ترتقي صناعة الفراسة الى مقام العلم لكن حبطت اعمالهم "

وقال العلاَّمة منتغزا في الكتاب المشار اليهِ آنفاً " يدعي بعض الناس انهم خُصوا بقوَّة من الفراسة يميزون بها اخلاق المرء ويعرفون ما اذا كان صالحاً او طالحاً مخلصاً او مرائياً كريماً او بخيلاً شجاعاً او جباناً وقد يصيبون في مزاعمهم بعض الاحيان لان قوة الملاحظة شديدة فيهم وقد مرَّنوها حتى قويت كما تقوى سائر قوى العقل بالتمرين ولكنهم يخطئون اذا حاولوا ان يخطُّوا الصناعة الى العلم اي ان يضعوا القواعد والقوانين لما هو مقتصر على ثمار اختبارهم وذكائهم " الى ان قال " ومن يتعلم قواعد اهل الفراسة ويحاول تطبيقها على من يراهُ من اهل زمانهِ يجد ان لافاتر[1] خدع نفسهُ تسعين مرةً من كل مئة مرة او ان اهل عصرهِ لا يشبهون اهل عصرنا [2] مع ان في كتاب لافاتر من المعلومات ما ليس في كتاب

(١) لافاتر Lavater هو يوحنا كسبر لافاتر القس السويسري ولد بزورك سنة ١٧٤١ واشتهر اولاً بنظم الشعر والتصوُّف او ما يماثله وسيم قسيساً وبحث في الفراسة بحثاً مستفيضاً وجمع معلومات كثيرة نشرها في كتاب كبير ترجم الى اللغة الانكليزية منذ سنة ١٧٩٣ وطبع في ثلاث مجلدات فيها كثير من الغث وقليل من السمين مثل اكثر ما كتبهُ اصحاب الفراسة

(٢) قيل ان زمرمن صديق لافاتر بعث اليهِ مرةً برسم رجل وكتب اليهِ كتاباً مع الرسم يسألهُ بهِ عنهُ . وكان لافاتر ينتظر رسم مردر الفيلسوف الالماني المشهور فلما وصل اليهِ هذا الرسم اطنب في وصف

آخر غيره من كتب الفراسة ما عدا كتب دلاّ بورتا (٣) الذي فصل بين الفراسة والتنجيم"

وجمع صديقنا الاستاذ مكلستر تاريخ الفراسة وزبدة مباحثها في اقل من ثلاث صفحات في الطبعة الاخيرة من الانسكلوبيذيا البريطانية مع ان مقالة علم الفسيولوجيا التي اتت بعدها ملأت ٥٦ صفحة اكثرها بالحرف الدقيق . وابان " ان القدماء كانوا يعتقدون بالفراسة كما يعتقدون بالسحر والتنجيم الى ان تقدّم علم التشريح في القرن السابع عشر فضعف الاعتقاد بها وزاد اهمالها في القرن الثامن عشر ولكن فصاحة لافاتر وتقواهُ ومهارتهُ في التمثيل شهرت كتابهُ في هذا الموضوع شهرةً لا يستحقها لانهُ دون الكتاب المنسوب الى ارسطوطاليس . ولم يقم بعد لافاتر مؤلف مشهور ثم جاءت الفرينولوجيا فكانت الضربة القاضية على الفراسة"

واول من بحث عن ملامح الوجه بحثاً علمياً هو السر تشارلس بل (٤) في كتاب نشرهُ سنة ١٨٠٦ في تشريح الملامح ومن ثمَّ صار للفراسة اساس علمي لكنها تجرَّدت من اكثر مزاعم لافاتر وغيره من الذين جاءوا بعدهُ او قاموا قبلهُ ولذلك لم نعبأ بشيء من مزاعم المتقدمين ومن حذا حذوهم من المتأخرين فلم ننشر شيئاً منها في المقتطف الاَّ عرضاً كما أننا لم ننشر شيئاً عن السحر والتنجيم الاَّ ما نبين بهِ فسادها . اما وقد دعت الحال الآن الى ذكر ما يصحُّ الاعتماد عليهِ من الفراسة او من دلالة الملامح على العواطف كما اثبتهُ اهل البحث والتحقيق فاعتمدنا على احدث كتاب علمي وُضع فيها وهو كتاب الاستاذ متنغزا رئيس الجمعية الانثربولوجية الايطالية

ولا يراد بدلالة الملامح ما يظهر من شكلها التشريحي كاتساع الفم وضيقهِ وكبر الانف وصغرهِ وطول الحاجبين وقصرهما بل كيفية التعبير عن العواطف بحركاتها كالضحك وتوسيع المنخرين وتقطيب الحاجبين فانهُ قد يوجد رجلان الواحد صغير العينين افطس الانف واسع الفم والثاني كبير

قوى صاحبهِ العقلية وقريحتهِ الشعرية وكان الرجل من الجهلة الغفلة الذين حكم عليهم بالقتل فتأمل

(٣) دلاّ بورتا Della Porta طبيب من اهل نابولي ولد سنة ١٥٤٣ وتوفي سنة ١٦١٥ له كتب كثيرة في الفسيولوجيا والزراعة والسحر الطبيعي والفراسة

(٤) هذا ما ذهب اليهِ الاستاذ مكلستر الشهير ويقول الاستاذ متنغزا ان كبير الجراح الهولندي الشهير مكتشف دلالة الزاوية الوجهية هو اول من وضع اساساً علمياً للفراسة وقد نشأ كمبر في اواخر القرن الثامن عشر فانهُ توفي سنة ١٧٨٩ الاَّ ان الاستاذ متنغزا عاد فقال ان كتاب تشريح الملامح وفلسفتها الذي وضعهُ السر تشارلس بل هو اول كتاب في دلالة الملامح مع ان الفضل في درسها درساً علمياً حفظ لداروِن لانهُ اول من بحث عن اسبابها الطبيعية في الانسان والحيوان وبينهُ وبين دلا بورتا قرنان انتقلت الفراسة فيهما مما يمائل الذكهن والتنجيم الى اساليب البحث العلمي كانت اولاً افكاراً قليلةً ممزوجة بجم من الاوهام والخرُّصات فصارت حقائق قليلة ممزوجة بكثير من الظنون والشكوك . وبين كتاب دلا بورتا وكتاب داروِن بون شاسع الاول خيالات واوهام والثاني ارض ثابتة يسير الانسان عليها عالماً انهُ سائر في طريق العلم

العينين اقني الانف صغير الفم ويضحك كلاهما اذا فرحا ضحكًا واحدًا وتظهر على وجهيهما امارات المحبة والبغضة على اسلوب واحد اي ان دلالة ملامحهما على عواطفهما تكون واحدة ولو اختلفت ملامحهما شكلاً اختلافًا كبيرًا. ولا بدَّ من وصف ملامح الوجه اي اعضائهِ المختلفة قبل الكلام عمَّا يبدو عليها من امارات اللذة والالم والحب والبغض ونحو ذلك مما ستقف عليهِ مفصَّلاً

الفصل الاول في الوجه وملامحهِ

الوجه مرآة النفس يبدو عليهِ ما يخامرها من فرح او ترح وحب او بغض ولذَّة او الم. وقد بالغ بعضهم في دلالتهِ وقالوا ان اخلاق المرء تبدو على وجههِ. ولقد احسن ابن الرومي في عدم اطلاقهِ ذلك حيث قال

لهُ محيًّا جميلٌ يستدلُّ بهِ ... على الجميل وللبطنان ظهرانُ
وقلَّ من اضمرت خيرًا طويتهُ ... الاَّ وفي وجههِ للخير عنوانُ

وفاقهُ ابو تمام واصاب كبد الحقيقة حيث قال

واني رأيتُ الوسم في خُلُق الفتى ... هو الوسم لا ما كان في الشعر والجلدِ

اي ان الجمال هو جمال الاخلاق لا جمال الوجه ولا يدلُّ هذا على ذلك دلالة قاطعة. ومثل ذلك قول ابي الطيب المتنبي

وما الحسن في وجه الفتى شرفًا لهُ ... اذا لم يكن في فعلهِ والخلائقِ

قابلْ قول هذين الشاعرين الحكيمين وتحرَّ سهما بما قالهُ لافاتر كبير اهل الفراسة من الاوربيين قال سأل بعضهم عالمًا من علماء الفراسة ما هي قيمة وجهي عندك فقال العالم ان ذلك صعب تقديرهُ فقال الرجل ان قيمتهُ الف وخمسمئة ريال لان التاجر الفلاني ائتمني على هذا المبلغ حينما رأى وجهي. وقال ايضًا جاء رجل الى الكونت فلان لشغل ما ولما قضى شغلهُ ودَّعهُ ليخرج فلم يدعهُ الكونت يخرج من بيتهِ فقال لهُ الرجل على مَ تمنعني من الخروج فقال لاني ارى الشر في وجهك واني اقرأ فيهِ انك عازم على قتل واحد. فقال الرجل ألي تقول هذا القول. فقال نعم انك عازم على قتل واحد. فاصفرَّ وجه الرجل واعترف بما كان عازمًا عليهِ وهو قتل انسان واخرج فردًا من جيبهِ وسلَّمهُ للكونت فبالغ الكونت في نصحهِ حتى صرفهُ عن هذا العزم. بمثل هذه الخرافات شحن لافاتر كتابهُ وعلى مثلها بنى احكامهُ وهو يحسب الناس اطفالاً تجوز عليهم

وتختلف وجوه الناس باختلافهم حتى لا تجد اثنين متشابهين تمام المشابهة الاَّ نادرًا

جدًّا واذا امعنت النظر وجدت بين الوجهين المتشابهين فروقًا كثيرة تميز احدهما عن الآخر ولولا ذلك لالتبس زيد بعمرو وتعسرت المعاملات او تعذَّرت

والمميز الاكبر للوجوه العينان حتى اعتاد القتلة ان يشوهوا عيني القتيل لتتعذر معرفتهُ . غطِّ وجهك كلهُ ببرقع لا يظهر منهُ الاَّ عيناك وانفك وشفتك العليا فلا تخفى على احد من معارفك واما اذا غطيت عينيك وحاجبيك واعلى انفك خفيتَ على كل معارفك . وتتحرك العينان وملامح الوجه كلها حركات تدلُّ على عواطف النفس الادبيَّة والعقليَّة وعلى حالات الانسان الفسيولوجيَّة كما يدلُّ شكلها على جنسهِ وجمالهِ . فملامح الوجه خمس دلالات شكلها يدلُّ على جنس المرء من حيث كونهُ ابيض او اصفر او اسود قوقاسيًّا او مغوليًّا او زنجيًّا او ما بينها من الاجناس المختلفة . ويدلُّ ايضًا على كونهِ جميلاً او غير جميل . وحركاتها تدلُّ على احوال الجسم الفسيولوجيَّة كالجوع والالم وانفعالات النفس الادبيَّة والعقليَّة كالحب والبغض والتبصُّر والتخيُّل

وقد بحث اهل الفراسة وعلماء الانسان (الانثربولوجيا) وارباب صناعة التصوير والنقش في هذه الملامح على اساليب مختلفة فاهل الفراسة وقفوا على معلومات قليلة مزجوها بما لا يحصى من التخرُّصات مما يدلُّ على فقر علمهم وغبي وهمهم . وترى في كتبهم الوفًا من القواعد الموضوعة ليس بينها قاعدة تدلُّ على اخلاق المرء ودرجة عقلهِ من ملامح وجههِ دلالة صحيحة مضطردة . وعلماء الانسان اكثر همهم مصروف الى شكل الراس والدماغ لا الى ملامح الوجه مع ان للملامح شأنًا في الدلالة على طوائف الناس . واما ارباب التصوير والنقش فبحثوا عن الملامح ولهم قواعد وضعوها وجروا عليها للتمييز بين الجميل والقبيح وما بينهما من الدرجات المختلفة . وهاك كلامًا موجزًا عن كل عضو من اعضاء الوجه من حيث شكلهُ وما يبنى عليهِ

الجبهة — اتفق اكثر الواصفين على ان الجبهَ اي اتساع الجبهة وشخوصها اجمل من الفمَم اي ضيقها حتى يكاد شعر الراس يبلغ الحاجبين . ويزيد قبحها اذا كانت غائرة اي راجعة الى الوراء كجباه بعض الزنوج والبأه . وهذا الفرق بين الجباه ينطبق على ما يرى من الفرق بين طوائف الناس فالطوائف المرتقية يغلب فيها الجبَه والطوائف المنحطَّة يغلب فيها الفمَم مع كبر الصدغين . وتمتاز جباهُ الاطفال عن جباه البالغين وجباه النساء عن جباه الرجال فتكون الجبهة مميزة للسن والجنس . ولا يزيد علماء الانسان على ذلك واما اهل الفراسة فلهم مزاعم تضيق عنها صفحات الكتب يحكمون بها على الناس احكامًا سخيفة ان اصابت مرةً اخطأت مئة مرة كقولهم "ان كبار الجبهة جبناء كالثيران الكبار الجباه وصغار الجبهة جهلاء لانهم يشبهون الخنازير ومن كانت جبهتهُ طويلة فهو ثاقب العقل ويارع في العلوم ومن كانت جبهتهُ مربعة معتدلة بالنسبة

الى وجههِ فهو كريم لان هذه الجبهة تشبه جبهة الاسد. ومن كانت جبهتهُ مستديرة فهو غضوب شديد العُجب بنفسهِ ومن كانت جبهتهُ مستديرة ومرتفعة ايضاً فهو بليد لانها تشبه جبهة الحمار. ومن كانت جبهتهُ غير مسطحة فهو ذكي فطن لانها تشبه جبهة الكلب . ومن كانت جبهتهُ ملساء فهو محب للخصام لان جبهة الكلب كذلك لاغضون فيها "

وبمثل هذه السخائف والاقوال المبهمة يوهمون البسطاء ويبتزُّون اموالهم ويأتونك على صدق مزاعمهم بصور كثيرين من الذين اشتهروا بالفضيلة او الرذيلة والعلم او الجهل والشجاعة او الجبانة . ولكن اين العدد القليل الذي يأتون بهِ من الملايين الكثيرة التي لاينطبق عليها

واقوال لافاتر في هذا الباب لا تختلف عن اقوال غيرهِ معنًى ولو اوردها على اسلوب آخر وتوسَّع فيها واكثر من الامثلة والشواهد . ويحتمل ان يكشف العلم شيئاً من الحقائق في ما اوردهُ لافاتر وغيرهُ من هذا القبيل ولكنهُ لم يكشف ذلك حتى الآن ولا يعلم متى يكشفهُ في مستقبل الازمان

العين — امارات العين يملأُ وصفها كتاباً كبيراً ولكنَّ بحثنا الآن مقصور على اختلاف اشكالها والوانها ونسبة الحاجب والهدبين اليها فقد تكون كبيرة او صغيرة فاذا كانت نجلاء (اي واسعة) من غير جحوظ قيل انها جميلة واذا كانت خوصاء (اي ضيقة غائرة) قيل انها قبيحة ويكثر النوع الاول في الجنس الآري والسامي وبعض الزنوج والثاني في المغول والملقيين . والناس مختلفون كثيراً في ما يعدونهُ من محاسن العين فالعرب وكل الساميين يفضلون العيون الدعج اي الشديدة السواد واكثر الاوربيين يفضلون العيون الزرق اي التي حدقتها زرقاء كالسماء الصافية الاديم . وكلهم يفضلون العيون الوطفاء اي الطويلة الاهداب اللوزية الشكل الطويلة اللحاظ كعيون الاندلسيات والشركسيات . والظاهر ان الصينيين يفضلون العيون الشائهة عندهم وهي المرتفعة اللحاظ المنخفضة المأق على ضدّ ما يستحسنهُ الاوربيون فانهم يفضلون العين المنخفضة اللحاظ كما ترى في صورة الامبراطورة ايجيني زوجة نبوليون الثالث

وقد تتقارب العينان كثيراً او تتباعدان كثيراً فتشوّهان الوجه او تجعلان منظرهُ وحشيًّا وقد تغوران كثيراً او تجحظان كثيراً وكلهُ معدود من العيوب

ويختلف لون العين كثيراً فقد اقرَّت جمعية باريس الانثربولوجية على اربعة الوان اصلية وهي الرمادي والازرق والاخضر والاسمر او الاشهل وفرَّعت من كل لون منها خمسة فروع . والغالب ان الذين عيونهم زرق او رمادية او خضراء يكون شعرهم اشقر والذين عيونهم شهل او سود يكون شعرهم اسود او اشقر ضارباً الى السواد ولكن قد يعكس ذلك

فتكون العيون زرقاء والشعر اسود او تكون العيون سوداء والشعر اشقر . وقد يخالف لون العين الواحدة لون العين الأُخرى . ويختلف تحدُّب قرنيَّة العين بعض الاختلاف وتختلف رطوباتها ايضاً فيختلف اشراقها وتكون في البعض برَّاقة وفي غيرهم جامدة لا نور فيها

والحاجبان يزيدان العينين جمالاً او قبحاً . ويذكر العرب من محاسنهما الزجج وهو دقتهما وامتدادهما والبلج وهو ان يكون بينهما فرجة وهم يكرهون القَرن وهو اتصالهما وتستحسنهُ التركيات على ما يظهر فانهنَّ يوصلن بين حواجبهن بالخطوط اذا كان بهنَّ بلج . والغالب ان تستحب دقة الحواجب في النساء وكثافتها في الرجال لان الاولى غالبة في النساء وفي الجميلات منهنَّ والثانية غالبة في الرجال وفي الاقوياء منهم . واذا خف شعر الحاجبين كثيراً لم يعودا جميلين لانهما لا يعودان يُظهران جمال العينين . وكذلك يستحب الوطَف وهو طول اهداب الجفنين اذ يتضح بهِ بياض الوجنتين ويظهر اتساع العينين

الانف — الانف عضو قليل الحركة لكنهُ من ادلّ ملامح الوجه على جنس صاحبهِ ودرجة جمالهِ فمنهُ يعرف ما اذا كان سامياً او آرياً او زنجياً او مغولياً على الغالب . وقلما يوجد انف جميل في وجه قبيح . وقد يكون الوجه قبيحاً والعينان جميلتين ولكن قلما يكون الانف جميلاً والوجه قبيحاً لان الانف الجميل يحسن الوجه كلهُ فتوافقهُ سائر الملامح

وانوف الشعوب المرتقية طويلة دقيقة فيها الشمم والقنا كانوف الرومانيين والعرب . وانوف الشعوب المنحطَّة فيها الفطَس والخنَس كانوف الزنوج والاستراليين ولذلك تعلّق الانف الاقنى الاشم بالارتقاء والافطس الاخنس بالانحطاط كما نقول ان الشعوب البيضاء ارقى من الشعوب السوداء . ويقول العرب بذلك كما يقول الافرنج . قال حسَّان بن ثابت الانصاري يمدح آل جفنة ملوك الشام

بيض الوجوهِ كريمة احسابهم شمُّ الانوفِ من الطراز الاوَّلِ

وعند المصورين والنقاشين قيود للانف الجميل يجرون عليها ولا تحل لايرادها هنا

والعضلات التي تحرك الانف ضعفت جداً في نوع الانسان فلا يفعل منها الاَّ ما يحرّك المنخرين فيتسعان بها في حال الغضب وفي حال اظهار المسرَّة ويقال ان ذلك يكون على اشدهِ الطوائف الدنيا من الناس وفي اهل الترَف والخلاعة من الطوائف العليا

الفم — نسبة الفم الى عواطف النفس كنسبة العين الى قوى العقل فيظهر فيهِ ما تكنُّهُ النفس من فرح او كره وحب او بغض كما يبدو في العين ما يخامر العقل من تبصُّر وتمعُّن وتقدير واستدلال . وافواهُ المتمدنين صغيرة في الغالب رقيقة الشفاه . وافواه المتوحشين كبيرة

في الغالب غليظة الشفاه . والبرطمة خاصة بالزنوج ولو لم تكن عامّة فيهم . والظاهر ان الذين تبرز شفتهم العليا عن السفلى يكونون في الغالب شديدي الحذر والذين تبرز شفتهم السفلى عن العليا يكونون في الغالب اهل حزم وثبات

الذقن — كل ما ظهر بالاستقراء حتى الآن من دلالة الاذقان ان الذقن البارزة الى الامام كالشفة السفلى البارزة تدل على الثبات وهي من مزايا الشعب الانكليزي

الوجنتان — ترتفعان قليلاً في البيض وفي الزنوج وكثيراً في المغول وارتفاعهما عن الصفات المميزة لهم ولا دلالة لهُ غير انهُ مستقبح عند الشعوب الآرية

الاذنان — هما اقل ملامح الوجه دلالة لانهما لا تتحركان الاّ نادراً جداً في بعض الناس . والاذن الجميلة تكمّل جمال الوجه وهي قبيحة اذا كانت عظيمة ويقال لصاحبها انها فيل وكذا اذا كانت مستديرة او مربعة الشكل او في استدارتها تعرّج كثير وجميلة اذا كانت بيضية . وما يستحسنهُ شعب قد يستقبحهُ آخر

الاسنان — يظهر لنا ان العربية من اوسع اللغات في اوصاف الاسنان ويعدّ العرب من محاسنها الشنَب وهو رقتها واستواؤها . والرتَل وهو حسن تنضيدها وانتساقها والفلج وهو تباعد ما بينها والشتت وهو تفرقها من غير تباعد . ومن مقابحها الروَق وهو طولها والكسَر وهو صغرها والثعل وهو تراكبها وزيادة سنّ فيها والشغا وهو اختلاف منابتها واللعص وهو شدة تقاربها وانضمامها . والبلل وهو اقبالها على باطن الثم . والدنق وهو انصبابها الى قدام . والثقم وهو تقدم سفلاها على العليا . والقلح وهو صفرتها . وهذه المحاسن والمقابح يقول بها الاوربيون كما يقول العرب واما زنوج افريقية واهالي استراليا فمقياس جمالها عندهم على خلاف ذلك فتراهم يحزّزون اسنانهم ويدققون رؤوسها حتى تصير كاسنان الكلاب ويهتمون واحداً منها او اكثر للتحلي او للامتياز وينقشون فيها على صور اخرى كما ابنا غير مرة وكل ذلك مستقبح عندنا . وقد تكون الاسنان جميلة والوجه قبيحاً فلا تجمّلهُ ولكن اذا كان الوجه جميلاً والاسنان قبيحة قبحتهُ . وليس فيها نفسها ما يدلّ على ما يخامر النفس والعقل ولكن في اظهارها عند الغضب وفي استعمالها للعض ما يدلّ على ذلك كما سيجيء

وسنأتي على بقية ملامح الوجه في الجزء التالي ثم نشبع الكلام على ما تدلّ عليه امارتها كاللذة والالم والحب والبغض والراحة والتعب ونحو ذلك مما ستقف عليهِ مفصّلاً